

العلاقة مع اﻻ ﺳﺒﺤﺎﻧﻪ ﺑﻘﻠﻢ ﺍﻻﺳﺘﺎﺫ ﻋﻤﺎﺩ ﺍﻟﻬﻼﻟﻲ

العلاقة مع اﻻ ﺳﺒﺤﺎﻧﻪ ﺑﻘﻠﻢ ﺍﻻﺳﺘﺎﺫ ﻋﻤﺎﺩ ﺍﻟﻬﻼﻟﻲ

ﻟﻌﻞ ﺍﻫﻢ ﻣﻴﺤﺖ ﻳﻨﺒﻐﻲ ﻋﻠﻰ ﺍﻟﺒﺤﺚ ﻓﻴﻪ ﻫﻮ ﻋﻼﻗﺔ ﺍﻻ ﺳﺒﺤﺎﻧﻪ ﺑﻪ ﻋﻼﻗﺘﻪ ﻣﻊ ﺍﻻ ﺳﺒﺤﺎﻧﻪ، ﻭﻣﻦ ﺍﻟﻌﻼﻗﺘﻴﻦ ﺗﻮﺷﺘﻖ ﻭﺗﻮﺳﺲ ﻛﻞ ﻣﻌﺮﻓﺔ ﺍﺧﺮﻯ، ﻳﻞ ﻣﻨﻬﻤﺎ ﻳﻜﻮﻥ ﺍﻟﻌﻘﻞ ﻭﺍﻟﻤﻌﺮﻓﺔ ﻭﺍﻟﺤﻜﻤﺔ ﻭﻛﻞ ﺧﻴﺮ.

ﺃﻣﺎ ﻋﻼﻗﺔ ﺍﻻ ﺳﺒﺤﺎﻧﻪ ﺑﻪ ﻫﻮ ﺍﻟﺨﺎﻟﻘﻴﺔ، ﻭﺍﻟﺨﻠﻖ -ﻛﻤﺎ ﻗﻠﻨﺎ ﺳﺎﺑﻘﺎً - ﻫﻮ ﻋﻼﻗﺔ ﻣﺴﺘﻤﺮﺓ، ﻭﺍﻻﺳﺘﻤﺮﺍﺭ ﺗﻌﺒﻴﺮ ﻧﺴﺘﻌﻤﻠﻪ ﻟﻘﺴﻮﺭ ﺍﻟﺄﻟﻔﺎﻁ ﻋﻦ ﺍﻟﺒﺤﺚ ﻟﺘﻠﻚ ﺍﻟﻌﻼﻗﺔ ﺍﻟﺘﻲ ﻫﻲ ﻓﻮﻕ ﺍﻟﺰﻣﺎﻥ، ﻓﺮﻏﻢ ﺃﻥ ﻭﻋﻴﻨﺎ ﻓﻲ ﻫﺬﻩ ﺍﻟﺪﻧﻴﺎ ﻣﺘﻘﻄﻊ ﺑﺎﻟﺰﻣﺎﻥ ﻓﻨﻌﻲ ﺁﻧﺎً ﻭﺍﺣﺪاً ﻣﻦ ﺍﻟﻜﻮﻥ ﺗﻢ ﻳﺘﺤﺮﻙ ﻭﻋﻴﻨﺎ ﻣﻊ ﺍﻟﻜﻮﻥ ﻭﻣﻊ ﺍﻟﺰﻣﺎﻥ ﻓﻨﻨﺘﻘﻞ ﺇﻟﻰ ﻭﻋﻲ ﺁﻥ ﺍﺧﺮ، ﻭﻫﻜﺬﺍ.. ﻭﻟﻜﻦ ﻫﻨﺎﻙ ﻓﻲ ﺃﻋﻠﻰ ﻧﻔﻮﺳﻨﺎ ﺟﺰﺀ ﻓﻮﻕ ﻫﺬﺍ ﺍﻟﺘﻘﻄﻊ ﺍﻟﺰﻣﺎﻧﻲ ﻭﻟﻮﻻﻩ ﻟﻢ ﻧﺴﺘﻄﻊ ﺗﺬﻛﺮ ﺍﻻﻧﺎﺕ ﺍﻟﻤﺎﺿﻴﺔ، ﻭﺫﻟﻚ ﺍﻟﺠﺰﺀ ﺃﺯﻟﻲ ﻳﻤﺘﻞ ﺍﻟﻌﻼﻗﺔ ﻣﻊ ﺍﻻ ﺳﺒﺤﺎﻧﻪ ﻭﺗﻌﺎﻟﻰ ﻭﺍﻟﻠﻤﺴﺔ ﺍﻟﺨﻠﻘﻴﺔ ﻭﺍﻟﺤﻘﻴﻘﺔ ﺍﻟﺒﺴﻴﻄﺔ ﺍﻻﻭﻟﻰ ﻭﺍﻻﺳﻢ ﺍﻟﻤﻜﻨﻮﻥ ﺍﻟﺬﻯ ﻫﻮ ﺳﺮ ﺣﻴﺎﺗﻨﺎ ﻭﻭﻋﻴﻨﺎ.

ﻭﺃﻣﺎ ﻋﻼﻗﺘﻨﺎ ﺑﺎﻻ، ﺃﻋﻨﻲ ﻣﺴﻴﺮﺗﻨﺎ ﻧﺤﻮﻩ ﻭﻛﻴﻒ ﻧﺴﻴﺮ ﺇﻟﻴﻪ ﻋﺰ ﻭﺟﻞ، ﻓﻬﻨﺎﻙ ﺗﺮﻳﻘﺎﻥ ﻟﺘﺼﻮﺭﻫﺎ:

ﺍﻻﻭﻟﻰ: ﺍﻟﺴﻴﺮ ﺑﺎﻟﻤﻌﺮﻓﺔ ﻭﺍﻟﻌﻘﻞ ﻭﺍﻻﺳﺘﻨﺘﺎﺝ، ﻭﻫﺬﻩ ﺍﻟﻄﺮﻳﻘﺔ ﻻ ﺗﻮﺻﻞ ﺇﻟﻰ ﺍﻻ ﺳﺒﺤﺎﻧﻪ ﻭﻟﻜﻨﻬﺎ ﺗﻨﻔﻊ ﻓﻲ ﻧﻔﻲ ﺍﻻﻏﻴﺎﺭ، ﺍﻻﻧﺘﺤﺎﺭﻯ ﺍﻟﻤﻌﺮﻓﻲ ﻭﺍﻟﺒﺤﺚ ﺍﻟﻌﻘﻠﻲ ﻳﻨﻔﻊ ﻓﻲ ﺍﻟﻘﻀﺎﻳﺎ ﻻ ﻓﻲ ﻭﺟﺪﺍﻥ ﺍﻟﺠﺰﺋﻴﺎﺕ، ﻭﻗﺪ ﻳﺰﻳﺪ ﺍﻻﻳﻘﻴﻦ ﺑﻮﺟﻮﺩ ﺍﻟﺸﻴﺌﻲ ﻭﻟﻜﻦ ﻻ ﻳﻮﺻﻠﻨﺎ ﺇﻟﻰ ﻣﺸﺎﻫﺪﺗﻪ، ﻓﻤﺘﻼً ﻟﻮ ﺍﺧﺘﻠﻔﻨﺎ ﻓﻲ ﻭﺟﻮﺩ ﺍﻻﻧﺴﺎﻥ ﻓﻴﺎﻥ ﺍﺳﺘﻨﺘﺎﺝ ﻭﺟﻮﺩﻩ ﻣﻦ

الإمكان أو الوجوب ليس مثل مشاهدته بنفسه. ولكن السير العقل يفتح باب اليقين بالله تعالى بدلالة عرضية أو لنقل من استشفاف خلفي، كمن يسير في طريق والشمس من خلفه سيرى ظله أمامه فيعرف نفسه ويعرف أنه لولا الشمس لما كان له ظل، ثم شيئاً فشيئاً يصرف وعيه عن الظل ويلاحظ نفسه ثم ينتبه أنه لولا الشمس لما كان له وعي.

الثانية: التنازل عن الأنانية بالتدرج، ولغرض تقريب التصور نشبهه بشخص وقع في البئر على وجهه، ثم ألقي إليه حبل ربطه في ظهره وسُحب إلى الأعلى ووجهه إلى الأسفل، وأثناء سحبه إلى الأعلى صار ينظر إلى جوانب البئر التي كان فيها والتي اجتازها أثناء السقوط السريع، فهو لم يكن ليصعد من تلقاء نفسه لولا الحبل، وما كان بإمكانه النظر إلى الأعلى لأنه ينظر إلى الأسفل. والإدراك في المرتبة السفلى لا يمكنه الإحاطة بما فوقها؛ لأنه يدرك السفلى بالعليا ولا يمكن إدراك العليا بالسفلى، إلا على نحو التشبيه.

فعملية الخلق هي تنزّل لنور الله من مقام إلى مقام حتى خُلِقَ هذا الجسد، فكيف نرجع في طريق خطوات التنزل؟ يكون ذلك ليس بحركة الإنسان نفسه، بل بتنازله عن المراتب المتنزلة شيئاً فشيئاً، وكلما قشّر الإنسان شيئاً من أنانيته كلما برزّ النور الإلهي الذي هو في باطنه ثم يتسلسل حتى يرى لحظة ولادته وبروزه في عالم الإمكان، ثم تختفي مداركه الشخصية حتى يكون الوعي بنور الله عز وجل.

والطريقان -بتدبير الله تعالى ولطفه- طريق واحد، والخلق يتجه إلى يوم القيامة [كما بدأنا أول خلق نعيده] والأرض تنقص من أطرافها والظل يُقبض قبضاً يسيراً وشمس الحقيقة تتحول من الشرق إلى المغرب، وما على الإنسان سوى أن يبلغ أقصى ما يمكنه عمله ويصعد إلى أعلى الطور ثم من هناك إذا شاء الله أن ينزع عنه أنانيته ويقبله لباطنه ناداه [فَلَمَّسَّا أَتَاهَا نُودِي مِن شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ] (القصص : 30) (راجع معالم هذا المستوى في كتاب عواطف الآملين في سورة القصص المباركة).